﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الفرقان: 41 - 42]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

من إنكارِ النّبوّةِ إلى الاستهزاءِ بالرّسولِ، مسارُ المشركين نحوَ الضّلالِ

بعد أن أظهَرَ المشركون غايةَ المُبالَغةِ في إنكارِ نبوّةِ الرّسولِ الكريمِ ﷺ فيما سبق من آياتٍ، واختلقوا مختلِفَ الشُّبَه والافتراءات للنّيل من صدقه ودعوته؛ لم يقِفوا عند حدّ إنكار نبوّته؛ بل زادوا على ذلك استهزاءً به، وازدراءً لشخصه الكريم، فكانوا إذا رأَوه يقول بعضُهم لبعض: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾؟[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿هُزُوًا﴾: (هزأ): الهُزْءُ: السّخريَةُ، يُقال: هَزِئَ منه، وهَزِئَ به؛ بمعنى: سخِر منه وبه، ومن معاني الهُزْء الاستخفافُ، ومنَ المَجاز: مَفازة هازئة بالرّكْب؛ أيْ: فيها سرابٌ، ويأتي الهُزء بمعنى السّخرية واللّعب[2]، والاستهزاء مُقترِنٌ بالسُّخرية؛ لأنّ الّذي يُستهزَأ به يُستهان بشأنه، ويُستخَفّ به وعليه؛ فالاستهزاءُ سُخريةٌ مع استخفافِ قدرِ المُستَهزَأ به[3]، وقوله تعالى: ﴿هُزُوًا﴾ في الآية الكريمة بمعنى السّخريَة منَ الرّسول ﷺ[4].

2) ﴿صَبَرْنَا﴾: (صبر): الصبرُ: حبْسُ النّفْس على ما يقتضيه العقل والشّرع، وتوطينُ النّفس على احتمال المكارِه والمَشاقّ، يُقال: صَبّرتُ الدّابةَ؛ أيْ: حبستُها بلا عَلَف[5]، والصّبر لفظٌ عامٌّ وربَّما

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 461.
(2) السّمين، عُمدة الحُفّاظ، والزّمخشريّ، أساس البلاغة، وابن منظور، لسان العرب: (هزأ).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (هزأ).
(4) السّجستانيّ، غريب القرآن، ص: 233، ومكّي القيسيّ، الهداية: 8/ 5227.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صبر).

وردَ بمُسمَّيات متباينةٍ بحسَب السّياق الوارد فيه، فحبْس النّفْس لمصيبةٍ ما يُسمَّى صبرًا مُطلقًا، وفي الحرب يُسمَّى شجاعة، وإن كان في نائبة مُضْجِرة سُمّي رحابةَ صدر، والصّبر على إمساك الكلام يُسمّى كِتمانًا، وكلّ ذلك يُسمّى صبرًا في آي الذِّكر الحكيم[1]، ومعنى ﴿صَبَرْنَا﴾ في الآية الكريمة: "أنّه كاد يَثنيهم عن عبادة أصنامهم، لولا أن صبروا وتجلَّدوا واستمرّوا على عبادتها"[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ضـلالٌ يتخفَّى وراءَ سخريةِ سُلوكِ المشركين تجاهَ الرّسولِ الكريمِ

نزلتْ في أبي جهلٍ ومَن معه منَ المشركين؛ تجسيدًا لسُلوكهم تِجاه الرّسول ﷺ حيثُ كانوا يُظهِرون مزيجًا منَ الهُزْء والسّخريَة من جهة، والخوفَ من جهةٍ أُخرى، فكانوا يسخَرون منَ الرّسول استهزاءً بشخصه الكريم، ودعوتِه المباركة، وذلك دلالةٌ على كفرهم وضلالهم، وعجزِهم عن مواجهة الحقّ، وفي الوقت نفسه كان يُخيّم عليهم الخوفُ من دعوة الرّسول الكريم، وتأثيرِها على عبادتهم للأصنام، فكانوا يُدركون خطورةَ هذه الدّعوة، وأنّها قد تُؤدّي إلى زوال عبادتهم للأصنام، وإسلامِ النّاس، ولولا أنّهم صبَروا على عبادتهم تلك لصُرِفوا عنها[3]، وما ذلك إلّا صبرٌ على الضّلال، فإنّهم سائرون في طريقه، وسوف يرَون العذاب رأيَ العين.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾:

أذًى مُتكرّرٌ للرّسولِ في غيابِهِ وعندَ رؤيتِهِ

صُدِّرت الآيةُ من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ بالواو المُؤذِنة بالعطف، فإنّه لَمّا حَكَى عنهم فيما سبق أقوالًا من

(1) الرّاغب، المُفرَدات: (صبر).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 113.
(3) الخازن، لباب التّأويل: 3/ 314.

صُنوف الأذى الموجّه للرّسول ﷺ في مَغيبِه؛ عطفَ عليها هنا صِنفًا خاصًّا، وهو الأذى حين يرَونه[1].

غرضُ التّعبيرِ بالجملةِ الشّرطيّةِ:

تعليقُ فعلِ الرّؤيةِ على السّخريةِ منه ﷺ

الجملةُ المعطوفةُ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ جملةٌ شرطيّةٌ مُفتَتَحَةٌ بـ (إذا)، وهو ظرفُ زمانٍ مُتضمِّنٌ معنى الشّرط لما يُستقبَل منَ الزّمان، خافضٌ لشَرْطه، ويُنصَب بجوابه[2]، يقتضي مُتعلَّقًا به، ويكون هذا المتعلَّق جوابًا له، وهو قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾[3]، فقد عُلِّق فعلُ رؤيةِ الرّسول بسُخريتِهم منه - تنزّهَ عن ذلك ﷺ - واستعمالُ (إذا) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾؛ لإفادة الشّرط، مع أنّ الأداة (إنْ) هي أمّ باب أدوات الشّرط[4]؛ لكنّه آثَرَ (إذا) على (إنْ)؛ لأنّ هذه الأخيرة تَرِد في المعاني الَّتي يُحتمل وقوعُها، والمشكوكِ فيها، أمّا (إذا) فالأصلُ فيها أن تكون لما قُطِع بحصوله، وكثُر وقوعُه[5]، ولَمّا أراد تعالى الإخبارَ عن تحقّق رؤيتِهمُ الرّسولَ ﷺ، واستهزائهم به، والسّخرية منه، أورد (إذا)، وفي ذلك تقبيحٌ لشأنهم، وتبشيعٌ لفعلهم، كما أنّ في إيثار استعمال (إذا) على (إنْ) إشارةً إلى أنّ المشركين لم يتركوا فرصةً يرَون فيها الرّسول ﷺ إلّا اهتبَلوها في السّخرية منه، والاستهزاءِ به؛ لأنّ (إذا) تُفارق (إنْ) بأنّها تُؤْذِن بتحقُّق جوابِ الشّرط[6]، فرُؤيتُهم له ﷺ حُجّةٌ للاستهزاء به.

دلالةُ التّعبيرِ بالرّؤيةِ وعَوْدُ الضّمائرِ في قولِهِ: ﴿رَأَوْكَ﴾:

الرّؤيةُ عِلّةٌ للاستهزاءِ، وآيةٌ على الحِقدِ والكراهيَةِ لدى المشركين

معنى الرّؤيةِ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 31 - 32.
(2) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 6/ 459.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 32.
(4) العُكْبَريّ، اللّباب في علل البناء والإعراب: 2/ 50.
(5) فاضل السّامرّائيّ، معاني النّحو: 4/ 69 - 71.
(6) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 3/ 59.

يُستدَلُّ بها على مشاعر الحِقد والكراهية للرّسول ﷺ، المُسيطرةِ على المشركين، فالضّميرُ راجعٌ إليهم؛ فهم حاضرون دائمًا بالمُجادلة والمُهاترة والفتنة[1]، فكلّما رأَوه احتقروه، وهم المُحَقَّرون، وسخروا منه، وهم أهلٌ للسُّخرية، وتعالَوا عليه، وهم الأسفلون؛ فقد أعماهم الشّيطانُ، فزيّن لهم سوءَ أعمالِهم[2]، فكانتِ الرّؤيةُ عِلّةً لاستهزائهم به ﷺ، كما أنّ التّعبير بفعل الرّؤية ينطوي على لمسةٍ بلاغيّة لطيفة؛ فإنّ رؤيتَهم له ﷺ تُخبرُهم بما يعلمون من صدق حديثه وكرمِ أفعالِه ونجابةِ خصالِه ولو لم يأتِهم بمعجزة، فكيف وقد جاءهم بما يبهر العقولَ، ويأخذ الألبابَ[3]، ومع ذلك فإنّهم كانوا يسخرون منه، وهي سخريةٌ لم تكن صادرةً عن عدم إيمانهم بصدقه، أو نقصِ الأدلّة على ذلك؛ فهم معترِفون بفضله وشرفِه ونَسَبِه؛ بل عن حِقدٍ وكراهيَةٍ عميقيْن يملكانِ قلوبَهم، وهما الدّافع في عداوته ومُعانَدته[4].

معنى ﴿إِن﴾ ودلالتُها في ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾:

تَرِد (إِنْ) في كلام العربِ على معانٍ كثيرةٍ، ومن هذه المعاني الجُحْدُ والنّفيُ[5]، والوارِدُ في قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ من هذا القَبيل؛ والمعنى: ما يكون من أمرهم إلّا أن يقولوا لك قولًا دالًّا على السّخرية والاستهزاء فيما بينهم[6].

ما من أحوالِهم وأقوالِهم غيرُ السّخريةِ والاستهزاءِ

دلالةُ التّعبيرِ بفعلِ الاتّخاذِ، وبيانُ مفعولَيْه:

استُعمل فعلُ الاتّخاذ في قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ للدّلالة على الاستهزاء به ﷺ، والأصلُ فيه أن يتّخذوه موضعَ هُزْءٍ، أو

غرضُهم اتّخاذُ الرّسولِ موضعَ هُزْءٍ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5284.
(2) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 3/ 57.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 391.
(4) رشيد رضا، تفسير المنار: 8/ 34.
(5) الرّمّانيّ، معاني الحروف، ص: 6.
(6) الماتُريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 2/ 539.

مَهْزوءًا به[1]؛ فالمفعولُ الأوّل ضمير الخطاب المُتّصل بفعل الاتّخاذ، والمفعول الثّاني هزؤًا، أو موضعَ هزءٍ على التّقدير الأوّل[2]، وقد تجلّى حقدُ المشركين وكراهيَتُهم للرّسول الكريم ﷺ في سخريتهم المُتعمَّدة منه، ممّا يُعَدّ مبالغةً في إنكار نُبوّته، وتفنيدًا للشُّبهات الّتي أثاروها حولَ صدقِ رسالته، فلم يكتفوا برفض الإيمان به؛ بل زادوا على ذلك سخريَةً واستهزاءً به[3]، ممّا يُؤكّد عمقَ الحقدِ الّذي كان يملأ قلوبَهم، وفي فعل الاتّخاذ تصويبُ المشركين سهامَ السّخرية المتعمَّدة نحو الرّسول الكريم، كلّما لاحت لهم فرصةٌ، وكأنّه غرضٌ ثابتٌ لا يَملّون من استهدافه، فذلك سلوكُهم المعتاد معه، ودأبُهم المستمرّ، ممّا يُجسِّد شناعةَ عملهم، ويُظهِرُ بشاعةَ جُرمِهم المُتواصل[4].

سِرُّ إسنادِ فعلِ الاتّخاذِ إلى الضّميرِ المجموعِ:

أُسنِد فعلُ الاتّخاذ إلى ضمير الجمع في قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾؛ للإشارة إلى أنّ سخريةَ الكافرين منَ الرّسول ﷺ لم تكن سخريةَ أفرادٍ قلائل؛ بل كانت سخريةَ جماعاتٍ كاملة، سواء في مجالسِهم الخاصّة، أو في منتدياتِهم العامّة[5]، وذلك دالٌّ على عُمق حقدِهم وكراهيتِهم، ويجوز أن يكون القائل أبا جهل، والآيةُ نازلة فيه، وكان إذا رأى الرّسول ﷺ قال مقولتَه تلك، والتّعبير عنِ الواحد بالجمع فيه تعظيم لقُبح صنعِه، ونَكارةِ فعلِه[6]، وأورِد فعلُ الاتّخاذ في قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ بصيغة المضارع؛ لأنّهم لَمّا كان دأبُهم ووكْدُهم أن يسخروا منَ الرّسول ﷺ كلّما رأَوه،

استهزاؤهم الجماعيُّ برسولِ اللهِ دلالةٌ على عُمقِ حقدِهم وكراهيتِهم

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 281.
(2) السّمين، الدّرّ المصون: 8/ 485.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 461.
(4) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 10/ 29.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 32.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 109.

كان استعمالُ المضارع مُؤذِنًا بتحقُّق تكرار السّخرية منه كلّما تحقَّق موجِبُه، وهي الرُّؤية[1].

بلاغةُ التّعبيرِ بأسلوبِ القَصْرِ بطريقِ النّفي والاستثناءِ:

قَصَروا معاملتَهم معَ الرّسولِ باتّخاذِهم إيّاه هُزُؤًا

استعمالُ ﴿إِن﴾ النّافية كـ(ما) مع ﴿إِلَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾؛ لإفادة القصر[2]؛ "أيْ: ما يتخذونك إلّا مَهزوءًا به، على معنى قَصْر معاملتِهم معه ﷺ على اتّخاذهم إيّاه ﷺ هُزُؤًا ... كأنَّه قيل: ما يفعلون بكَ إلّا اتّخاذك هزؤًا"[3]، والنّفيُ والاستثناء دالّان على الحصر، فليس في وكْدهم إلّا السّخرية منه ﷺ - حاشاه وتَنزَّه عنه - فقد جاء القَصْر تشنيعًا عليهم بانحصار اتّخاذهم إيّاه في الاستهزاء به، فهم مُلازمون له، دائبون عليه، ولا يَخلِطون معه شيئًا من تَذَكُّر أقوالِه ودعوته، ففيه استثناءٌ من عمومِ الأحوالِ المَنفيّةِ، فكأنَّهم لا يتّخذونه في حالة ما إلّا في حالةِ الاستهزاء[4]، وذلك مُنتَهى القُبح، وغايةُ الشّناعةِ منهم والبشاعةِ.

دلالةُ التّعبيرِ بالمصدرِ في قولِه: ﴿هُزُوًا﴾:

بالَغوا في استهزائِهم بالرّسولِ فجعلوه الهُزءَ نفسَه تمحيضًا له

قولُه تعالى: ﴿هُزُوًا﴾ مصدرُ هَزَأَ به هُزْءًا وهُزُؤًا، وهو مصدر بمعنى المفعول، ووَصْفُ الرّسولِ ﷺ به يُفيد المُبالَغةَ في بيان شِدّة استهزاء الكفّار به[5]؛ وذلك لأنّهم لم يكتفوا بالسّخريَة منه؛ بل جعلوها صفةً مُلازمة له، وكأنّه هو الهُزْء نفسُه، تمحيضًا له ﷺ[6]؛ لدلالة المصدر على الحَدَث، خالصًا من أيِّ شائبةٍ.

توجيهُ المُتشابِهِ اللّفظيّ:

بين قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾

(1) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 3/ 59.
(2) ابن مالك، شرح ابن النّاظم على ألفيّة بن مالك، ص: 82.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 220.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 32.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 13/ 391.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 32.

الإظهارُ والكنايةُ في وصفِ الكفّارِ، دلالةٌ على الاختلافِ في السّياقِ والموقفِ

[الأنبياء: 36]، وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ تشابُه لفظيٌّ، ولعلّ سائلًا يسأل عنِ الفرق بينَ الآيتيْن من جهة إظهارِ الفاعِلَيْن في الأنبياء، وإضمارِهم في الفرقان؟ والجوابُ عن ذلك: أنّ ما سبق في آية الأنبياء هو قولُه تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35]، فليس فيها ذِكْرٌ للكافرين؛ فكان الاختيارُ في هذا الموضع الإظهار، أمّا آيةُ الفرقان فقد سبقها قولُه تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَل كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾؛ أيْ: ألم يرَ الكافرون ذلك فيحذَروا، فلمّا ذَكَرهم هنا فيما قَرُب منَ الكلام، اختار الكنايةَ والإضمار[1].

نُكتةُ فصلِ قوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾:

استهزاؤُهم القوليُّ بيانٌ لاتّخاذِهِ هُزوًا

جملةُ ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ استئنافٌ بيانيٌّ، فإنّه لَمّا ذُكِرَ قولُه تعالى: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾، يَرِد في الذّهن سؤالُ سائلٍ مَفادُهُ: فماذا يقولون تعبيرًا عن هُزْئِهم؟ فيكون الجوابُ هذه الجملة[2]، فبينَ الجُملتيْن شِبه كمالِ اتّصال.

بلاغةُ الاستفهامِ ونوعُه وغرضُه:

استعمالُ أسلوبِ الاستفهام الإنكاريّ[3] في قوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾؛ الغرضُ منه نفيُ أن يكون الحقُّ ﷻ قد بعث محمّدًا ﷺ رسولًا[4].

غرضُ التّعبيرِ باسمِ الإشارةِ القريبِ ﴿أَهَٰذَا﴾:

الاستحقارُ والإنكارُ للمبعوثِ لا البَعْثةِ

التّعبيرُ باسم الإشارةِ ﴿أَهَٰذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ مُرادٌ به التّحقيرُ، مع إبراز بَعْثِه ﷺ كأنّه أمرٌ مُسَلّم به،

(1) الإسكافيّ، درّة التّنزيل: 1/ 901 - 902، والكرمانيّ، أسرار التّكرار، ص: 178.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 23.
(3) هو الاستفهام الّذي يُساق لمعنى النّفي، ينظر: الدّسوقيّ، حاشية الدّسوقيّ على مختصر المعاني: 2/ 389.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 32.

مع أنّهم على الغاية منَ الإنكار لبعث الرّسول، لكنّه من باب التّهكّم والسّخريَة، وإلّا لقالوا: أَبعثَ اللّهُ هذا رسولًا[1]، لكنّهم لو فعلوا ذلك لكان إنكارُهم واقعًا على البَعثة دونَ المبعوثِ، واستعمالُ اسم الإشارة ﴿أَهَٰذَا﴾ هنا عَكَسَ الأمرَ؛ لأنّ أداة الاستفهام يليها المُستفهَم عنه إنكارًا أو تقريرًا[2]، ولسانُ حالِهم يُقول: إنّ هذا الشّخصَ قريبٌ منّا، ونعلم مِن أموره حَقّ العِلْم، فلا نقبَل منه أن يدّعيَ الرّسالة، ولا أن يَذْكُرَ آلهتَنا بسوء[3].

غرضُ التّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ وصلتِهِ:

عُبِّر بالاسم الموصولِ في قوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾؛ لأنّهم يريدون إبرازَ أنّ الحقّ ﷻ بعثَ محمّدًا ﷺ رسولًا، فالبعثُ صفتُه ﷺ[4]؛ للإشعارِ بأنّ استفهامَهم الإنكاريّ مُعلَّلٌ بما في حيِّزِ الصّلةِ مِن بَعْثِهِ تعالى له رسولًا ونبيًّا.

استفهامُهم الإنكاريُّ مُعلَّلٌ بما في حيّزِ الصّلةِ مِن بعثِهِ تعالى له رسولًا

دلالةُ التّعبير بالماضي ﴿بَعَثَ﴾، وإسنادُه إلى ﴿ٱللَّهُ﴾:

عُبِّر بالفعل الماضي في قوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾؛ إخراجًا لكلامهم مَخْرَجَ التّسليم والإقرار، وتوطئةً لجُحودهم، وفي إسناده للاسم الجليل ﴿ٱللَّهُ﴾؛ لاستجماع الحقّ ﷻ لنُعوت العَظَمة والقُدْرة[5].

تسليمٌ بالبَعث منَ الحقّ تعالى المستجمِعِ لنُعوت العَظَمة

نُكْتَةُ حذفِ مفعولِ الفعلِ ﴿بَعَثَ﴾:

الفعل ﴿بَعَثَ﴾ مُتعدٍّ بنفسه، يُقال: بعَثَه كمَنَعَه؛ بمعنى: أرسله[6]، وفي قوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ حُذِف المفعول من ﴿بَعَثَ﴾، وهو عائدُ الموصول، والتّقدير: (بعثه)، على أن يُجعَل

مطابقةُ اللّفظِ لِما في قلوبِهم منَ الجُحْد والإنكارِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 220.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 32، والمطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 3/ 58.
(3) أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص: 107.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 220.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 391.
(6) الزّبيديّ، تاج العروس: (بعث).

﴿رَسُولًا﴾ مُنتصِبًا على الحاليَّة، أو المصدريَّة تأويلًا أو تحقيقًا[1]، ونُكْتَةُ حذفِ المفعول مِنَ الفعل ﴿بَعَثَ﴾ أنّهم لَمّا أنكروا رسالتَه في الحقيقة، زادوا عليها إنكارَها في اللّفظ، بحذف الضّميرِ العائد عليه ﷺ؛ ليُطابقَ اللّفظُ ما في قلوبهم مِنَ الجُحْد والإنكار[2].

الغرضُ من تنكير ﴿رَسُولًا﴾:

في إيرادِ لفظِ ﴿رَسُولًا﴾ مُنَكّرًا في قوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾، تناسُبٌ معَ السّياق الوارد فيها؛ فالتّنكيرُ هنا جاء لغرض الاستهزاء والسّخرية، والتّقليلِ من شأن الرّسول ﷺ، فإنّهم يُنكرون كونَه رسولًا مِنَ الله تعالى، فضلًا عن إنكارِ صفاتِه الحميدة، ومكانته العالية.

سياقُ كلامِهم في الاستهزاءِ والسّخريةِ والتّقليلِ من شأنِ الرّسولِ

نُكْتَةُ فصلِ قولِه: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾:

جملةُ ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ فُصِلَت عمّا سبقها مِنَ الجُمَل؛ فهي استئنافيّةٌ[3]، يُراد منها الإعجابُ من أنفسهم، وتفاخرُهم بتصلّبهم في دينهم، وأنّهم كادوا أن يتّبعوا دعوةَ الرّسول بما يُلقيه إليهم مِنَ الإقناع والإلحاح، فكان تأثّر أسماعِهم بأقواله يوشِك بهم أن يرفضوا عبادةَ الأصنام لولا أنّهم تريَّثوا، فكان في الرّيث أن أفاقوا من غشاوة أقواله، وخَلابة استدلاله، واستبصَروا مَرآه، فانجلى لهم أنّه لا يستأهِل أن يكون مبعوثًا من عند الله[4]، وحالُ هذه الجملة مع ما قبلَها حالُ الصِّفة معَ الموصوف، والتّأكيدِ مع المُؤكَّد، فلا يحسُن فيها عطفُ البتّة، فهي مُنَزّلة مع ما قبلها مَنزِلةَ الشّيء الواحد، والشّيءُ لا يُعْطَف على نفسه[5]، فمقاربتُهمُ الضّلالَ عن آلهتِهم مُسَبَّبةٌ عن دعوته ﷺ، بأن بعثَه اللهُ رسولًا.

استئنافٌ على معنى الإعجابِ بصنيعِهم في عدمِ الانصرافِ عن معبوداتِهم

(1) السَّمين، الدّرّ المصون: 8/ 485.
(2) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 3/ 59.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 33.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 33.
(5) العلويّ، الطّراز: 2/ 30.

نُكْتَةُ دخول ﴿إِن﴾ على ﴿كَادَ﴾:

مُجاهَدةٌ دؤوبةٌ ودعـوةٌ مخلصةٌ لهدايةِ المشركين حـتّـى أشـرفـوا عـــلى تـــركِ ضلالِهم

﴿إِن﴾ الدّاخلةُ على ﴿كَادَ﴾ في قوله: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ تُفيد التّوكيد[1]، والمُراد توكيدُ مقارَبةِ المشركينَ من أن يصرفهم عن عبادة آلهتهم لولا صبرُهم، وفي هذه المقاربة مَلمحٌ بلاغيٌّ غايةٌ في اللّطافة؛ فمنه يُستَدلّ على فرْط مجاهدتِه ﷺ في الدّعوة، وبَذْلِه غايةَ الوُسعِ وجَهْدَ الطّاقةِ في استعطافهم، وتبيينِ الآيات والمعجزات لهم، حتّى شارفوا أن يتركوا ما هم عليه منَ الضّلال إلى دين الهُدى والرّشاد[2]، أو أنّها بمنزلة (ما) النّافية، واللّام بمعنى (إلّا) فيكون التّقدير: (ما كاد إلّا يضلّنا)[3]، وفيه تعبيرٌ عن شِدّة الخطر المُداهِم بحسَب زعمِهم، وأنّهم كانوا قريبين منَ الضّلال، بأن يُصرَفوا عن آلهتهم، وكاد أن يُسقطَهم هذا الضّلالُ، ولا يَقِلُّ هذا التّعبير بلاغةً وتوكيدًا عنِ الوجه الأوّل، بجامعِ استعمالِه النّفيَ والاستثناءَ الّذي يُفيد الحَصْر.

معنى اللّامِ ودلالتُها في ﴿لَيُضِلُّنَا﴾:

توكيدُ مقاربتِهمُ الإيـمـانَ بدعـوةِ الرّسولِ

من مَواضِع اللّام في كلام العرب أنّها تَقترِن بخبر ﴿إِن﴾ المُؤكِّدة المُخفَّفة منَ الثّقيلة؛ درءًا لاشتباهها بالنّافية[4]، وهي الواردة في قوله تعالى: ﴿لَيُضِلُّنَا﴾، ومعناها هنا التّوكيدُ والتّحقيق؛ فإنّه ﷺ لَمّا قَرُب وأوشك من تحقيق مُرادِه بإيمانهم بعد أن بذل الوُسع في دعوتهم، ما كان منهم إلّا تأكيدُ تلك المُقارَبة.

بلاغةُ التّعبيرِ بالاستعارةِ:

أضلّهمُ الرّسولُ بحسَبِ زعمِهم عـن طـريـقِـهـم الصّحيحِ

الفعلُ ﴿لَيُضِلُّنَا﴾ مُستعمَلٌ بمعنى: (يصرفنا عمّا نعبد منَ الآلهة الّتي نُؤمِن بها)، فهو بذلك مُستعمَل على طريقة الاستعارة، وهو أنّ الرّسول ﷺ قد سوَّل لهم أن ينصرفوا عن عبادة آلهتهم بما جاء به

(1) العُكْبَريّ، التّبيان: 2/ 987.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 281.
(3) ابن الأحنف، البستان في إعراب مشكلات القرآن: 1/ 382.
(4) الزّجّاجيّ، اللّامات، ص: 113 - 114.

منَ الحُجَج البيِّنات؛ فأضلّهم بحسب زعمهم عن طريقهم الصّحيح، وهو تشبيهٌ مُناسِب لاستعارةِ النّأي عن السَّبيل الَّذي يزعمونه، والتّعبيرُ بالإضلال في قوله تعالى: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ فيه دلالةٌ على عُمق تناقضهم، وشِدّة اضطرابهم، فقد كان منهم في استفهامِهم السّابق ما يَشي بتحقيرهم واستصغارهم له ﷺ، وفي خشيتِهم من أن يُضلَّهم عن عبادة آلهتهم ومُقاربتِهم ذلك ما يدلّ على قوّة حُجّتِه، ورجاحَة عقلِه، فلا يستقيم هذا مع ما تقدّمَ من استفهامهمُ الإنكاريّ، إلّا على أنّه قد ساقَه تحميقًا لهم، وتجهيلًا لاستهزائهم[1].

معنى ﴿لَوۡلَآ﴾ ودلالتُها:

﴿لَوۡلَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ﴾ حرفُ امتناعٍ لوجود[2]، ومعناها "في مثل هذا الكلام جارٍ - من حيثُ المعنى لا من حيثُ الصِّنعةُ - مجرى التّقييد للحُكم المُطلَق"[3]؛ فالحُكْم: هو مقاربتُهمُ الإيمانَ به، المُعَبَّر عنه بالضّلال، والتّقييد: هو صبرُهم على عبادة آلهتِهم.

قيَّدوا مقاربتَهمُ الإيمانَ بدعوتِهِ، بصبرِهم على عبادةِ آلهتِهم

بلاغةُ التّعبيرِ بالجملةِ الشّرطيّةِ، وبيانُ فعلِها وجوابِها:

قولُه: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ﴾ شرطٌ وجوابٌ، والشّرطُ مُصَدَّر بـ ﴿لَوۡلَآ﴾ الامتناعيّةِ، امتنع الجوابُ لوجود الشّرط، وقد حُذِف جوابُ ﴿لَوۡلَآ﴾؛ لدلالة ما قبلَها عليها[4]؛ فالتّقدير: لولا أن صَبَرْنا عليها إن كاد لَيُضلّنا عن آلهتنا؛ أيْ: قد كاد يُضلّنا عن آلهتنا، وتتجلّى بلاغةُ التّعبير بهذا الأسلوب في إظهار قوّة حُجّة النّبيّ ﷺ في بيان بُطلان اتّخاذهمُ الأصنامَ آلهةً، لدرجةٍ جعلتهم يتكلّفون صبرًا خاصًّا للثّبات عليها، وأنّ قوّة الحُجّة كادت

لـولا صبرُهم لأضلّهم عن آلهتِهم الّتي يعبدون

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 19/ 19.
(2) أبو حيّان، ارتشاف الضّرَب: 4/ 1904.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 281.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 33.

تُزَحْزِحُهم، والتّعبيرُ بالجملة الاسميَّة دالٌّ على الثّبات والتّحقّق، وأنّ مقولتَهم تلك مُؤذِنةٌ بمُضيّهم في ضلالهم وكفرهم، وفي نظم الآية على هذا المِنوال بحذف جواب الشّرط والابتداءِ بما يدلّ عليه دونَ أن يُؤتى بأداة الشّرط أوّلًا، ثمّ يتلوها بجوابِها، بأن يقول: لولا صَبْرُنا على آلهتنا لأضلّنا عنها، الغايةُ منه: العنايةُ بالخبر ابتداءً، بأنّه حاصلٌ مُتحقّقٌ، ثمّ يوردُ الشّرطَ بعدَه للاهتمام، وتقييدِ الخبر بعد إطلاقه[1].

سِرّ إسنادِ فعلِ الصّبرِ إلى ضميرِ الجماعةِ:

اجتماعُ أهلِ الكفرِ وتعاضُدُهم وتكاتُفُهم

استُعمِل فعلُ الصّبر مُسنَدًا إلى ضمير جماعة المتكلِّمين في قوله تعالى: ﴿صَبَرْنَا﴾؛ للاستدلال على اجتماعِهم وتعاضُدِهم وتكاتُفِهم[2]، ولولا ذلك لَما تحقَّقَ لهم ذلك من بقائهم على عبادة آلهتهم، وعدمِ إجابتِهم دعوتَه ﷺ.

التّعبير عنِ الثّبات على عبادة الآلهة بالصّبر عليها:

ثابتون على الضّلال، مُستقرّون فيه، مُستمرّون عليه

التّعبير بقوله: ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ يدلُّ على أنّهم ثابتون على عبادة آلهتهم، فإنّ معنى الصّبر أن يستمرّوا على ما هو شاقّ على النّفس منَ الأعمال، وقد عُدّيَ فعلُ الصّبر بحرف الاستعلاء (على)؛ لاقتضائه الثّباتَ على الشّيء، والتّمكّنَ منه، والاستمرارَ عليه[3]، تشبيهًا لمَن اعتلى شيئًا وركبَهُ واستقرّ عليه، ويجوز أن يكون الصّبرُ في الآية بمعنى الحبس؛ أيْ: حبسوا أنفسَهم على عبادة الآلهة الباطلة، فإنّهم لَمّا اتّخذوا التّقليدَ الأعمى، والتّعصّبَ الأهوجَ طريقًا لهم، كانوا يحاولون إبطالَ الحقّ وتأييدَ الباطل؛ فحبسوا أنفسَهم على الباطل حبسًا، ولولا ذلك الحبسُ لاتّبعوا الحقّ[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 33.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 392.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 33.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5285.

معنى الواو ودلالتُها في قولِه: ﴿وَسَوْفَ﴾:

عـطـفٌ عـلى ما تقديرُه: (فسوف يـرَون)؛ تهديدًا لفظاعة فعلِهم

الواو في قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاطفةٌ، فقد عَطفتْ هذه الجملةَ على ما تقديرُه: (فسوف يرَون)، أو (مَن يرى منهم)؛ لأنّه يلزَم من قولِهم السّابق أنّ الأصنام تُغني عنهم، فكان أن نفاه مع توكيد التّهديد؛ لشناعة فعلهم[1]، بأن يُقال: فسوفَ يرَون، ثمّ عطف عليه ﴿يَعْلَمُونَ﴾ المُقترنَ بالتّسويف.

دلالةُ دخولِ حرفِ التّسويفِ:

لـن ينـفـعَـهـم الـعـمـلُ وإن طـالـت مُـدّةُ الإمـهـالِ والتّمكينِ

الأصل في (سَوْفَ) أنّها حرفُ تنفيس؛ أيْ: توسيع، وقد يُستعمل في التّهديد والوعيد[2]، وقولُه تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ من هذا الضّرب، فهي تُشير إلى أنّ المشركين سيُدركون عواقبَ ضلالِهم وكفرِهم يومَ القيامة، وذلك حينَ لا ينفعهم عملُهم مهما طالت مُدّة الإمهال والتّمكين في الدّنيا[3]، ويُفيد (سَوْفَ) أيضًا في توكيد وقوعِ الفعل مُستقبَلًا، فإنّهم سيعلمون عِلْمًا مُؤكّدًا أينَ حَلّ الضّلال؟ أمعَ مَن يهدي ويُرشد، أم مع مَن يعبُد أحجارًا لا تنفع ولا تضرّ؛ فستعرفون الحقَّ الواضحَ الأبلج حينَ رُؤيتِكمُ العذابَ، وهو آنئذٍ عِلْمُ ندمٍ وتحسّر[4].

دلالةُ التّعبير بالفعل المضارع ﴿يَعْلَمُونَ﴾، وبيانُ مفعولَيْه:

تـهـديـدٌ ووعـيـدٌ يدورُ حيثُ تدورُ العِلّةُ

استُعمل الفعلُ المضارع في قولِه تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾؛ للإشارة إلى التّهديد والوعيد[5]؛ ليجريَ الحُكم على أشباههم في كلّ زمانٍ وأوانٍ، ويدورَ معهم دورانَ الحُكمِ مع العِلّة، وجملة: ﴿مَنْ أَضَلُّ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 392.
(2) ابن الصّائغ، اللّمحة في شرح الملحة: 1/ 114.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 392.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5285.
(5) الثّعلبيّ، الكشف والبيان: 19/ 433.

سَبِيلًا﴾ سَدّتْ مَسَدَّ مفعولي عَلِمَ؛ لأنّها جملة مُصَدَّرة بالاستفهام[1]؛ لِما يقتضيه فعلُ العِلْم منَ الاحتياجِ إلى مفعولَيْن.

سِرُّ التّقييدِ بالظّرفيّةِ وتقديمِها في ﴿حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾:

رؤيــةُ الـعـذابِ وعيدٌ للظّالمين، وتنبيهٌ بالإمهالِ لا الإهمالِ

لَمّا توعّدهمُ اللّهُ تعالى بأنّهم سوف يعلمون من ضلّ السّبيل ممّن هو على الطّريق الصّحيح، قَيَّد عِلْمَ ذلك بوقتٍ محدّدٍ فقال تعالى: ﴿حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾، "وفي تقييد العِلْم بوقت رؤيةِ العذاب وعيدٌ لهم، وتنبيهٌ على أنّه تعالى لا يُهملهم، وإن أمهلهم"[2]، وفي اقتران تسويف علمهم بظرفيّة رؤيتِهمُ العذابَ فائدةٌ ولطيفة، وهي أنّ قولَه تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ قد لا تُنزّل منهم منزلةَ الجِدّ والحقيقة، لكنّهم ﴿حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ سيتكوّن لديهم علمٌ حقيقيٌّ[3]، يُفرّقون فيه بينَ الضّالِّ والمُهتدي، وفي تقديم الظّرف بيانٌ لوقت العذاب وأثرِه في تنديم الكافرين، وعنايةٌ به، ومسارعةٌ بتهديدهم بوقت رؤية العذاب، والتّعبير بفعل الرّؤية، وهي معايَنة العذاب، مُتضمِّنٌ الوعيدَ بعذاب السّيف النّازلِ بهِم يومَ بدر، وممّن رآه أبو جهل سيّدُ أهلِ الوادي، وزعيمُ القالَةِ في ذلك النّادي[4].

معنى (أل) في لفظِ ﴿ٱلْعَذَابَ﴾:

هــــولُ يــومِ القيامةِ، وشِدّةُ عذابِ الكافرين

(أل) في لفظ ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ من قوله تعالى: ﴿حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ دالّةٌ على العهد؛ لأنّ معنى العذاب هنا يوم القيامة[5] الّذي سيُحاسَبون فيه على أعمالِهم، وهو يومٌ عظيمٌ شديدٌ على الكافرين، مَليءٌ بالرَّهبة والفَزَع، ويجوز أن تدلَّ على عذابِهم الّذي حَلّ بهم يومَ بدر[6]؛ فقد رأَوا بأُمِّ أعينِهمُ العذابَ الشّديد الّذي يُدرِكون من

(1) الخرّاط، المُجتبى: 3/ 819.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 24.
(3) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 583.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 34.
(5) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 2/ 539، والقنّوجيّ، فتح البيان: 9/ 312.
(6) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 35.

خلاله مَن هو الضّالُّ، أَهُم أم مَن يَنسبون الضّلالَ إليه - حاشاه ﷺ، ويجوز أن تكون (أل) في لفظة ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ دالّةً على الجِنس؛ لاستغراق جميع أنواع العذاب الواقع عليهم، فيَنالوا نصيبَهم من جحيم الدّنيا وجحيم الآخرة عذابًا مضاعفًا[1].

الموقعُ النّحويّ لقوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ودلالتُه:

سيُدركون يقينًا أنّهم في الضّلالِ المُبينِ، لا يسبقهم أحدٌ

وقَع قولُه تعالى: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ موقعَ النّصب في كونِها جملةً تسُدُّ مَسَدّ مفعول أو مفعولي ﴿يَعْلَمُونَ﴾ الّتي تقتضي مفعولَيْن، أو مفعولًا واحدًا[2]، وإنّما لم تستوفِ مفعولَها أو مفعولَيْها لتعليق عملها بالاستفهام، والمعنى: أنّهم سوف يعلمون يقينًا بانكشاف حقيقة ضلالِهم أنفسِهم، وأنّه لا أحدَ أضلّ منهم[3]، وبجانب الموقع النّحويّ فإنّ قوله تعالى: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ يقع موقعًا دلاليًّا؛ فهو كالجواب لقوله تعالى: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾؛ لأنّ ما سبق في قوّة السّؤال، وليس سؤالًا صريحًا، فهو في قوّة قولهم: أنحن في ضلالٍ أم الرّسول؟[4].

بلاغةُ الاستفهامِ ونوعُه وغرضُه:

أيّ عمًى أصابَ أبصارَهم فأضلّهم عن نورِ الحقِّ؟!

قولُه تعالى: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ جملةٌ استفهامية[5]، وهو استفهام إنكاريّ، بأنّهم ضلّوا عنِ الصّراط المستقيم، واتّبعوا طريقَ الشّيطان؛ فكان أن وبَّخهم على ما كان من جهلِهم، وأنّهم سينالون جزاءً واقعًا، وعذابًا أليمًا؛ تأكيدًا على عواقب أفعالهم في جَنب النّبي ﷺ في الدّنيا[6].

نُكْتَةُ التّعبير باسم التّفضيل ﴿أَضَلُّ﴾:

تهكُّمٌ منَ الضّالّ، وإرخاءُ العِنان له كي يعودَ عن خَطَئه

التّعبيرُ باسم التّفضيل في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ واردٌ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 392.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 109 - 110.
(3) ابن فورك، تفسير ابن فورك: 1/ 195.
(4) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاويّ: 14/ 104.
(5) السّمين، الدُّرّ المصون: 8/ 486.
(6) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5285.

على أسلوب التّهكّم، بجَعْل ما ينكشف عنه المستقبلُ هو معرفة مَن هو أشدّ ضلالًا منَ الفريقيْن، وهي طريقة في المُجاراة، وإرخاء العِنان للمُخطئ حتّى يقفَ عند حدود خطَئِه[1]، ويجوز في معنى اسم التّفضيل ﴿أَضَلُّ﴾ أن يكون دالًّا على مُطلق الزّيادة في الضّلال؛ أي: البالغ غايةَ الضّلال، وهو أن يكون الموصوف به ضالًّا ومُضِلًّا في الوقت نفسه[2].

بلاغةُ المَجازِ العقليّ في إسناد الضّلال إلى السّبيل:

وُصِف السّبيلُ بالضّلال، والمُراد السّالكون فيه

وَصْفُ السّبيلِ بالضّلال في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ من باب المجاز العقليّ، وعلاقتُه المكانيّة، والمُراد: مَن يسلك السّبيلَ، لا السّبيلُ نفسُها[3]، وقد وُصِف السّبيلُ بالضّلال، والمُراد السّالكون فيه؛ للإيماء إلى فداحة خسارتهم، فلم يعد سبيلُهم طريقًا موصِلًا فحسْب؛ بل تحوّل إلى وادٍ سحيقٍ يَلفُّه ضبابٌ كثيفٌ، يحجُب عنهم نورَ الحقّ، ويحيطُ بهم من كلِّ جانبٍ.

الغرضُ من تنكيرِ ﴿سَبِيلًا﴾:

أورِد لفظُ السّبيل نكرةً مُبهَمًا في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ للإشارة إلى أنّ كلّ سبيل ضالّ هو سبيلٌ مُؤدّ إلى الهلاك؛ فيشمل أنواعَ الضّلالِ كلَّها؛ فالتّنكير للتّعميم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الهُزْءُ والسُّخريّةُ:

الهُزْءُ: القول المقصود منه صِغَرُ القَدْر بما يَظهر في القول[4]، وأمّا السُّخريَة فطَلبُ الذّلّة؛ وهي منَ التّسخير، على معنى التّذليل،

الهُزْءُ: تصغيرُ القَدْرِ قولًا، والسّخريَة: طلبُ الذِّلّةِ بالتّسخيرِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 34.
(2) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاويّ: 14/ 105.
(3) الكرمانيّ، غرائب التّفسير وعجائب التّأويل: 2/ 817.
(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 275.

وقد كانت سخريتُهم منَ الرّسول ﷺ قَوليّةً، وآية ذلك أنّهم يقولون له: أهذا الَّذي بعثَه اللّهُ إلينا رسولًا من بين خَلقِه[1] كما أخبر القرآنُ عنهم؛ ولذلك كان التّعبير بالهُزْء أنسبَ في هذا المقام.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 458.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والثلاثون،
سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 37 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 37 : المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-79-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8644972 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»